

طبائع الفيل

النبل اصنم الحيوانات البرية واعظها جرماً يبلغ علوه عشر اقدام او احدى عشرة قدماً وثقله نحواً من اربعين الف افة. وله قوائم غليظة تكاد لا تنني حتى زعم المتقدمون انها خالية من المفاصل وعليه قول احد طبيعى العرب ان النبل "لا ينام الا معتمداً على ساق شجرة اذ لا يمكنه الاضطجاع لكون قوائمه لا مفاصل لها لكنها كالاساطين المصنعة والسواري الوثيقة" وليس ذلك بسديد لان قوائمه ذات مفاصل وهو يضحضض اضجاعاً ولكنه لا ينني رجليه تحته كالمخروف ونحوه من ذوات الاربع بل يستطعمها الى وراه. وراسه كبير سميك العظام ولكنه غير ثقيل لان عظامه كثيرة المسام والتجاويف. ورقبته قصيرة ودماغه كثير اللقائف عميقها وهو اقل ادعة الحيوانات كلها ولا يستنى منها الانسان ولكن نسبة ثقله الى ثقل جسده كسبة ١ الى ٥٠٠. واما دماغ الانسان فنسبة ثقله الى ثقل جسده كسبة ١ الى ٣٦ (١). وجلده سميك صفيق كثير الشني قليل الشعر جداً وصغاره اكثر شعراً من كباره. وذهب بعضهم الى ان النبل كان في الاصل شعراً ثم انتزع الشعر عنه من سكناه الاقاليم الحارة واستدل على ذلك من ان النبل الذي كان قديماً في سيبيريا وغيرها من الاقاليم الباردة كان كثير الشعر ومن ان اقبال النواحي الباردة من الهند اكثر شعراً من اقبال النواحي الحارة



النبل الهندي



النبل الافريقي

ولم يبق من النبل حياً سوى نوعين وهما الافريقي ووطنه جنوبي الصحراء الكبيرة والهندي ووطنه اسيا من محالايا الى سيلان وتند شرقاً الى حدود الصين وجنوباً الى صومترا وبورنيو. وتحت هذين النوعين تنوعات كالنبل الصومتري الذي عدّه البعض نوعاً قائماً بنفسه والنبل

(١) وهذه النسبة في غيرها من الحيوان كما ترى في هذه القائمة. في الحوت الكريولندي ١ الى ٣٠٠٠ وفي

البترا الى ١٦٠ وفي الخيل ١ الى ٤٠٠ وفي الكلاب ١ الى ٣٠٥ وفي السميتري من الفروود ١ الى ٥٠

الايض^(٢) الذي يكرمه اهل صيام اكراماً دينياً . وبين النوع الهندي والافريقي فروق كثيرة حتى
 زعم البعض ان كلاً منهما جنس قائم بنفسه فالهندي مقعر الجبهة صغير الاذنين له في كل قائمة اربعة
 اظفار ولا انياب لانه والافريقي اكبر قدماً من الهندي وهو محدب الجبهة كبير الاذنين له في كل
 قائمة ثلاثة اظفار فقط ولا ناياب مثل ذكره

واغرب ما في بناء الفيل خرطومته واسنانه اما خرطومته فهو انثى (وشنته العليا) وقد استنطال
 حتى يبلغ نحواً من ثمانى اقدام وهو له بنابة اليد للانسان يمسك به الطعام ويرجه في فيه ويتص به
 الماء ويصه في حلقه او يضخه على جسده ويلتقط به الابرّة الدقيقة ويقطع الشجر الغليظة ويرجه
 كل موجبه ويحببه كل معني وبصوت به عند الغضب صوتاً اشبه بصوت البوق . وخرطومته هذا
 حساس جداً اذا وقعت به اذية جنّ الفيل من الالم ولم يعد يتناد الى احد وقد حسب الشهر
 كوفيه ان في خرطوموه اربعين الف عضلة فلا عجب اذا قام بهذه الاعمال كلها وبغيرها ما يقصر
 الوصف عنه

واما اسنانه فثنتان في الفك الاعلى وثمانية وعشرون ضرساً في كلا الفكين ولا يكون في فوه
 من الاضراس في وقت واحد الاثمانية . وثبتاهما ناباه المشهوران اللذان يخرج منها العاج .
 وهما يظهران في السنة الثانية من عمره ولا يزالان ينفيان مدى حياهه فيبلغ ثقل الواحد منها نحو
 مئتي ليرة وطوله احدى عشرة قدماً وبمكة ان يحمل بها اربع مئة اقة ويقذف بها النهدي الكبير
 ثلاثين قدماً . قال المسعودي "وربما بلغ الثاب منها خمسين ومئة من واكثر من ذلك والفيل
 يحمل بها على الجدار الوثيق البنيان فيلتوي على الارض وقد فتح به محمد ابن سكين مدينة الطاق
 وهي من اعظم الحصون التي ببلاد سجستان فانه جعل نايبه تحت بابها فاتقلعه" وقال الدميري ان
 نابه قد يكون "اكثر من ثلاث مئة من" واما اضراسه فتبتدي في مؤخر فكاه اثنتان في كل لحي ثم
 تنمو له اضراس اخرى امامها وكلما نما له ضرس جديد وقع ضرس قديم فتبقى اضراسه ثمانية وبلغ
 ما يفوقه مدى حياته ٢٨ ضرساً . وبناء اضراسه غريب ايضاً لان كلاً منها صفايح قائمة متلاصقة
 كانه مؤلف من اضراس كثيرة . ويختلف وضع هذه الصفايح في الفيل الهندي عن وضعها في الافريقي
 وعيناه صغيرتان لا يرى بها مساحة واسعة لفصر رقبته وليس ذلك بضائر عليه لانه يسكن
 الغابات الكثيفة حيث لا يقدر على اطلاق نظره ولان سمعه حديد وشبهه شديد فيستغني بها عن

(٢) البياض في الافبال عرض في الشوك البياض في الطيور والازانب والمرار والوبران وهو يتقل بالارت
 على ما قاله دارون وقد تنزع به بعض اعضاء الحيوان لعلامة مجهولة بينها فان المرار الزرقاء العينون مثلاً تكون
 طرشاه لعلامة مجهولة بين اللون واسمع

النض (النظر الى كل جانب) . ومعدته كعدة الحمل فيها كيس كبير يضع فيه الماء حتى اذا اراد رده الى خرطوميه واغسل به او قضى به غير ذلك من الحاجات . وهو عمر عمرًا طويلًا فيفوت المئة والمئة والثلاثين . ونقل كتاب العرب " ان فيلًا سجد لابرويز ثم سجد للمعتضد وبينهما اربع مئة سنة " . وتراعى اثناء في الخامسة عشرة ونحوها ٢١ شهرًا وهي تفتد (أي تلد واحدًا) وقد تبتهم (تلد اثنين) وصغارها ترضع بافواهها لا بمخراطها وانصرار شائع بين الافعال الوحشية واما اللداجة فنقلًا تراوح رقمًا تلد . والرحنية تتاجل آجالًا كبيرة ويكون في كل اجل قائد وهو في الغالب اكبرها جسمًا واشدها بأسًا فينودها ويدبر امورها وهي تقاد اليه صاغرة وتدافع عنه اشد الدفاع حتى اذا ادركها الصيادون وضيقوا عليها احاطت به وبدلت حياتها دونه . واذا انفصل فيل عن آجله لا يقبله آجل آخر فيهم على وجهه وهو اشد الاقبال خطرًا واصعبها معاملة

والفيل من اسرع الحيوانات انسانًا بالناس واكثرها دماعة اخلاق وهو يذكر المحسة والسبئية ويجازي عليها والرحي من يسكن الغياض الكثيفة في الجبال ويسرى منها ليلاً الى السهول فيسطو على مزارع الارز والذرة ولكنه تجنّبها اذا كانت محاطة بسور ولو من النصب الواهن لانه يخاف من البقاع المسورة ولولا ذلك لافسد في البلاد اي افساد . وطعامه الاثمار والحبوب وقصب السكر وجوز الهند . والداجن منه يأكل في اليوم ما ثقله ثمانًا ليرة . ويجب الإقامة في الماء والسباحة فيسبح فيه رافعًا طرف خرطوميه فوق الماء ليتنفس به . ولاهل الهند طرق كثيرة في صيد الفيل الرحشي منها ان يركب الصيادون فينبتن متعلمين على اغراء الافعال ويدنوا بها منه فتقتان على جانبيه وتشاغلا به وحينئذ ينزل بعض الصيادين ويحيطون قوائمًا بالجبال وهو غافل عن نفسه وعندما يشعر بهم ويجاول الهرب يمشون معه وطرف الحمل يدهم حتى اذا بلغ شجرة عظيمة ربطوا الحمل بها فيسقط على الارض من شدة نفرتهم ولا يزال يخط حتى يضنيه التعب ويأخذ منه الجوع والعطش كل ماخذ فيدنوا الصيادون منه ويأخذون في معاملة تارة بالشدة وتارة باللين حتى يلبس ويلين ويانس بهم

ومنها ان يذهب كثيرون منهم الى حيث تتردد النيلة ويحيطون قطعة ارض بسور كبير من جذوع الاشجار والاعضان ويطاردون قطع الافعال اليها حتى اذا دخلتها سدوا باب السور وجدوا في اثرها من مكان الى آخر الى ان تنصر في مكان ضيق فياتونها بالافعال الاليفة فتانس بها وحينئذ يحنلون على ربطها ودجتها كما تقدم

وقد ألف الناس كثيرًا في طباع الفيل وشحنوا المجلدات بنوادير . والظاهر ان الانسان استخدمه منذ زمان طويل في الحرب والصيد والحمل . والآن يصطاد منه كل سنة نحو مئة الف

فيل لاجل العاج وإذا بقي الامر على مثل ذلك لا تمضي مدة طويلة حتى يفرض عن وجه الارض.
واعلم ليس بين انبواع الحيوانات العجم حيوان ينوقه نهباً وانقياداً ووقاه. وهو يشعر بالخطر قبل
الوقوع فيه ولو لم يشعر به الانسان ولا يخاطر بحياته صاحبه ولو خاطر بحياته فاذا وصل الى جسر
لا يجمله لم يسر عليه وإذا حدث عن السير عليه ولم ير له مناصاً سار فسقط به الجسر ومات غرقاً ولم
يحص صاحبه. وإذا غرق في حياوة النقط كل ما طاله خرطوميه ووضعته تحت رجله وبطنه حفظاً
لنه من الغرق ولا يستغيث شيئاً الا صاحبه فانه لا يسبح به ولو كان دون ذلك هلاكه. وذآكرته
قوية جداً حكى الدكتور ولسن ان فيلة من الحيوانات التي يدار بها للفرجة اصابتها مقص شديد
لانها شربت ماء باردًا وهي متعبة فدعا صاحبها رجلاً لعلاجها اسمه تزي في موضع حرارة على خاصرتها
فزال الالم حالاً وكان ذلك سنة ١٨٧٤. وبعد خمس سنوات مر صاحب تلك الحيوانات من
امام حانوت تزي المذكور وكان واقفاً في باب حانوته فاخترقت الفيلة صف الحيوانات الماشي
معها وانت اليه ولت خرطومها على يده وهشت اليه وبشت كانتها تحميه بالسلام وتذكره بنضله
السابق. وفي تلك الليلة اتى تزي الى المنزل الذي في فيه فانست به وأشارت الى خاصرتها حيث
وضع لها الحرقاة. وفي السنة الماضية (١٨٨١) بلغ الدكتور ولسن ان الفيلة المذكورة مرت في
المكان الذي فيه تزي المذكور فكتب اليه يستخبر عما كان من امرها في هذه التوبة فاجابه انها عرفت
حينما رآته وهشت اليه ورفعت عن الارض بخرطومها بكل تان ثم رفعت يدها ووجهتها اليه كأنها
تريد ان يراها ايضاً وكانت يدها سليمة فلم يعلم مرادها الا ان صاحبها اخبره عند ذلك انه اصابتها
بها حادث فاناما يبطار فبضعها لها والميا الما شديداً ففدت عليه وكادت تنتم منه. وكانها لما
رأت تزي ارادت ان تخبره ان يدها اصيبت ايضاً ونكها عولجت علاجاً عنيقاً لا مثل علاج اللطيف
وحكى ان فيلاً اقلت وتوحش وبعد اربع سنوات من افلاته كان قوم من الصيادين
بصيدون الافعال فحسروها ضمن السور المشار اليه آنفاً وكان صاحب الفيل انفلت معهم فنظر
وإذا فيلة بين الافعال المحصورة فناداه باسمه فاقبل اليه واظهر من العلامات ما اتفق كل من حضر
انه فيلة المنفلت

ويقال ان الفيل يبكي من الحزن والالم ويهطل دموعه شحراً وان اناته يبكيه على فراق
صغار من بكاه مرًا

وقد عانى الفيل من البشر منذ انصايهم مشقات كثيرة قللت عدده وغيّرت موطنه الجغرافي
وحلته ما لا يطاق من الآلام نروي من ذلك خبر مقتل الفيل الذي قتله الانكليز سنة ١٨٢٦
كأ ذكرته جريدة التيمس حينئذ. قالت ان لهذا الفيل في الاكسترشاخ سبع عشرة سنة وقد أتى به

من يباي حيث اصطيد وهو في نحو الخامسة من عمره . ومنذ ما اصطيد الى ان قُتِل كان يهيج في كل سنة في دور معلوم وكان هيجانه يستد سنة بعد سنة فلما هاج المرة الاخيرة حاول قتل حفظه وكان يشرع في قنصه ويضرب عوارضه بخروطيه محاولاً انتزاعها (والعوارض المذكورة من خشب السديان محاطة بالحديد ومحيط كل منها اكثر من ثلاث اقدام والبعد بين كل اثنتين منها نحو قدم فقط) فازاح عارضة منها عن موضعها بقوة ضرباته المتوالية فنجف من افلاته لانه اذا افلت على هذه الصورة عاث في البلاد وقتل خلقاً كثيراً . فعزم صاحبه على قتله بالسم مع ان ثمنه نحو الف ليرة انكليزية فرش السليالي على عاهه وقدمه له فلم يذق منه شيئاً ولذلك لم تنبج حيلة لقتله الا الرمي بالرصاص مخيم قنصه بحبال متينة لكي لا يكسر عند رميه واتي باربعة عشر رجلاً مسلحين فدبوا منه حتى صاروا على خمس عشرة قدماً او ادنى ورموه بالرصاص في رقبته تحت اذنيه فان ايئاشد بدأ وضرب الفص بخروطيه ضربات عنيفة متوالية حتى ازاح عارضة من عوارضه وحينئذ خد هيجانه فتقدم الرماة ورموه برصاصهم ثانية فهاج وجعل يضرب الفص ضرباً شديداً حتى خلع بابه ولكن كانت الحبال التي حزم بها الفص متينة جداً فتمتعت عن الافلات . ولما سكن هيجانه قليلاً تقدم الرماة الثالثة لكي يرموه برصاصهم فهرب من وجههم الى مؤخر الفص واخذ رأسه بين كفيه خوفاً من اطلاق الرصاص عليه فوخزوه بالرمح حتى رفع رأسه فرموه بالرصاص فاصابوا رقبته وجرحوه جرحاً بليغاً اسالت دمه غزيراً ولكنه لم يظهر شيئاً من علامات الضعف سوى انه انقطع عن ضرب الفص وتاخر الى مؤخره (والظاهر ان مؤخر الفص كان متيناً بالحجارة) وبقي الرماة يطلنون عليه الرصاص نحو ساعة ونصف حتى ارقعوا فيه مئة واثنين وخمسين رصاصة فوقع على الارض لا يدي حراكاً فربطوا سيفاً براسه بنذقة ونحروه به ففاض دمه حتى ارتوت به الارض . هذا ونوادير الافعال كثيرة تصبى بها الصحف فيجزى عنها بما ذكر

انساع جاجم البشر

بين الاساذ فلور الجراح الانكليزي ان انساع اكبر الجاجم الصحية ٢٠٧٥ ستميناً مكباً وانساع اصغرها ٩٦٠ ستميناً مكباً والصغيرة جاجم شعب بائد كان يسكن اواسط سيلان . وان اكبر الناس جاجم قبيلة تسكن شواطئ افريقية الغربية . وان معدل انساع جاجم الاسكيمو وهم اصغر الناس قدا ١٥٤٥ ستميناً مكباً ومعدل انساع جاجم رعاك الانكليز ١٥٤٢ واليابانيين ١٤٨٦ والصينيين ١٤٢٤ والابطالين ١٤٧٥ والمصريين القدماء ١٤٦٤ واخنود ١٢٠٦